رعاياها في القضايا الجنائية واركان المجني عليه عثمانيًا وقد طلبت البلجيك ذلك في جناية القنبلة في قصر بلديز سنة ١٩٠٥ فانها ادعت لحق مجاكمة جوريس البلجيكي وكان متهماً بالاشتراك في تلك الجناية

هذا طرف موجز من تاريخ الامتيازات الاجنبية ومنشاها في بلاد السلطنة العثمانية . وقد الغيت هذه الامتيازات في الولايات التي نزعت من السلطنة واستقلت كرومانيا والسرب والبلغار او ضمت الى الممالك المجاورة كاليونسنه والهرسك

انفرس

وصفها ولمحة من تاريخها

يهم القراء الآن وقد سقطت انفرس التي كانت تعدُّ من امنع حصون العالم بعد باريس ان يقفوا على لمحة من تاريخها وشيء من عظمتها وتجارتها وحصونها ومبانيها الفخمة الى غير ذلك مما يفيد الاطلاع عليه في مثل هذه الاحوال . فرأينا ان نلخص لهم ذلك في ما يلي

موقعها الجغرافي

انفرس مدينة تجارية كبيرة على ضفة نهر الشلد اليمنى او الشرقية الى الشمال من بروكسل وعلى بعد ٢٥ ميلاً منها و٥٠ ميلاً من البحر الشمالي . وعرض نهر الشلد امامها ٢٢٠٠ قدم وعمقهُ يتراوح بين ثلاثين قدماً واربعين حين الجزر وبين ٤٢ قدماً و٥٤ حين المد

تاريخها

ورد ذكر هذه المدينة في القرن الرابع كبلدة في الماتيا الثانية (الغربية) . وفي القرن الثامن قام احد اعيان الانتوريين او الغنتريانيين واسمهُ رويجوس وانتحل لنفسهِ لقب امير انفرس . وفي سنة ٧٢٦ سقطت انفرس في يد النورمن (الدنماركيين) فحكموها ٣٦ سنة وفي سنة ١٠٠٨ جعلها الامبراطور هنري الثاني مركيزية (امارة) في المملكة الرومانية المقدسة واقطعها الامبراطور هنري الرابع الى جودفري دي بويون سنة ١٠٧٦

وسنة ١٣٣٨ زارها ادورد الثالث ملك انكلترا وزوجتهُ الملكة فيليبا وقضيا فصل الشتاء فيها ورزقا هناك البرنس ليونل دوق كلارنس . واقترض هذا الملك من اهلها حينئذٍ اربعماية الف فلورين . وانتقلت امارة انفرس بعد ذلك الى آل فلندرس ومنهم الى آل برغندي ثم الى آل برابانت سنة ١٤٠٦ . وبلغت مدينة انفرس من الشهرة والعظمة بين

سنة ٤٨٨ وسنة ١٥٧٠ ما لم تبلغ الاَّ في اواسط القرن الماضي وقد دعاها بعض الكتَّاب في ذلك العصر مثل جشيارديني وسكريانيوس « المدينة الغنية » ولقبها سواهم « بمدينة المال » وكانت تقام فيها حينئذٍ سوقان كبيرتان اسم احداهما « سوق العنصرة » والاخرى « سوق سان بادون » يؤمها الناس من جميع انحاء اوربا . وكان يدخل ميناء انفرس في هذه المدة ما لا يقل عن ٥ مركب يوميًّا وقد يكون فيها في وقت واحد ٢٥٠٠ مركب وكان يدخل ابواب المدينة يوميًّا اكثر من خمس مئة مركبة محملة بضائع من داخلية البلاد ولا تقل قيمة النقود التي يتداولها تجارها في العام عن خمس مئة مليون جلدر (٣٧ مليون جنيه) . وبلغ عدد سكانها في ذلك الحين اكثر من مئة الف نسمة

ولم ينقضِ القرن السادس عشر حتى هبطت انفرس من باذخ عزها ومجدها بسبب الحروب التي توالت على البلجيك . ففي سنة ١٥٧٦ استولى عليها الاسبان وابا حوها للسلب والنهب ثلاثة ايام . ثم عادوا فحاصروها سنة ١٥٨٣ بقيادة دوق النسون فثبتت على الحصار الى ان أبدل دوق النسون بدوق بارما فشدد عليها الحصار وضيق عليها الخناق حتى سقطت في ١٧ اغسطس سنة ١٥٨٥ بعد ما عفا مجدها وبارت تجارتها الراسمة وتفرق شمل اهلها وهرب معظمهم الى همبرج وغار الهولنديون مما بلغتهُ من الشهرة والعظمة فانشأوا الحصون على ضفتي نهر الشلد وصاروا يتحكمون في تجارتها فيمنعون المراكب من دخول نهر الشلد اليها او خروجها منهُ الى غرض البحر . ولما عقدت معاهدة وستفاليا سنة ١٦٤٨ اقفل نهر الشلد في وجه السفن وحرم عليها الدخول فيهِ الى انفرس

وفي سنة ١٧٩٤ استولى عليها الفرنسويون وجعلوها عاصمة ولاية « الدو ناث » (ولاية انفرس الحالية » وزارها نبوليون الاول سنة ١٨٠٣ فاعجب بحسن موقعها الجغرافي وحاول ان يجعلها قاعدة حربية كبيرة ومركزًا تجاريًّا عظيمًا وانفق نحو مليوني جنيه على انشاء الاحواض فيها توطئة لذلك . وقد سمع مواراً يقول « ان انفرس ليست الاَّ مخيخة محشوة وموجهة الى نحر انكلترا » . وظلت بيد الفرنسويين الى سنة ١٨١٤ حينما سلمت الى جيوش الحلفاء (انكلترا وبروسيا والنمسا) التي كانت بقيادة الجنرال جراهام الانكليزي بعد معاهدة باريس وبعد ما دافع عنها كارنو القائد الفرنسوي المشهور دفاعًا مجيداً . وانضمت هي وسائر البلجيك الى هولندا واتحدتا معًا فصارتا مملكة واحدة وظلتا كذلك من سنة ١٨١٥ الى سنة ١٨٣٠

وسنة ١٨٣٠ شبت نار الثورة في البلجيك وكانت قلعة انفرس بيد حامية هولندية بقيادة الجنرال شاسه فطلب الثوار منهُ ان يسلم القلعة اليهم فابى ودافع عنها مستبسلاً حتى

اضطره الفرنسويون بقيادة المرشال جرار الى التسليم سنة ١٨٣٢ واعادوا انفرس الى البلجيكيين . وفي سنة ١٨٣٩ انفصلت البلجيك عن هولندا رسميًا بحسب الاتفاق الذي عقد بينهما فاخذت انفرس من تلك السنة تستعيد مجدها وعظمتها السابقين حتى صارت الميناء الثالث في العالم في كثرة احواضها وعظمتها وعدد ما يدخلها من البواخر واتساع تجارتها

احواض انفرس

في انفرس الآن عشرة احواض تبلغ مساحتها ١٧٠ فدانًا وهي

(١) حوض نبوليون الصغير (٢) وحوض نبوليون الكبير اللذان انشأهما نبوليون الاول كما تقدم آنفًا وطول الاول ٥٧٤ قدمًا وعرضهُ ٤٩٢ وطول الثاني ١٣١٢ قدمًا وعرضهُ ٥٧٤ قدمًا (٣) وحوض كانتديك وقد انشئ سنة ١٨٦٠ ووسع سنة ١٨٨١ (٤) وحوض برى او الخشب (٥) وحوض كامبين وهو خاص بالسفن التي تنقل المعادن (٦) والحوض الاسيوي ويصل بينهُ وبين نهر الموز قنال عريض (٧) وحوض لفيفر (٨) وحوض اميركا وقد فتح سنة ١٩٠٥ (٩ و ١٠) والحوضان المتداخلان

تجارة انفرس

دخل ميناء انفرس سنة ١٩١٢ من البواخر التجارية ٢٢٤٤٤ باخرة بلغت حمولتها كلها ٣٢٦٧٢٩٨٩ طنًا وبلغت قيمة المتاجر التي وردت عليها من الخارج ١٤٩٧٥١٢٠٠٠ فرنك وقيمة المتاجر التي صدرت منها ٢٩٤٣٢١٥٠٠٠ فرنك وقيمة البضائع التي مرت بها ٢٤٣٧٣٠٠٠٠٠ فرنك

سكان انفرس

احصي سكان انفرس في ٣١ دسمبر سنة ١٩١٢ فبلغ عددهم ٣١٢٨٨٤ نفسًا

حصون انفرس

يحيط بانفرس سلسلتان او دائرتان من الحصون احداهما داخلية والاخرى خارجية . فالخارجية منها تتألف من تسعة عشر حصنًا مدرعة بالفولاذ وهي مشيدة على مسافة تتراوح بين ستة اميال وتسعة من المدينة . اما الدائرة الداخلية فتتألف من اثني عشر حصنًا مدرعة مثل الاولى وهي مشيدة في اطراف المدينة وضواحيها القريبة . وبين هذه الحصون سلسلة متصلة من الاستحكامات الاخرى تحول دون دخول الجيش المهاجم الى المدينة اذا استطاع اختراق منطقة الحصون الاولى او انسل من بين حصونها

وبين هذه الحصون طوابي عديدة وبطاريات كثيرة من المدافع الكبيرة . ويقال بالاجمال

ان بين كل حصن وآخر طابية او طابيتين من هذه الطوابي . بعض البطاريات الكبيرة وعددها يختلف على نسبة الابعاد التي بين الحصون . وبين بعضها ارض واطئة تغمرها مياه نهر الشلد

ابنية انفرس الفخمة

في انفرس كما في كل مدينة قديمة في اوربا اشتهرت بالمجد والغنى ابنية عديدة فخمة . واشهر هذه الابنية بناء شركة هنسيا ومخازنها وهو بناء كبير جداً اشبه بقلعة عظيمة منهُ بدار تجارة . وكنيسة نوتردام الكاتدرائية وقد شرع في بنائها في اواسط القرن الرابع عشر ولم تتم الاَّ في العقد الثاني من القرن السادس عشر وهي من اجمل الابنية التي في البلجيك من الطرز القوطي طولها ٥٠٠ قدم وعرضها ٢٠٠ قدم وهي الكنيسة الوحيدة في اوربا التي لها ستة اجنحة ولها برجان على احدهما ٤٠٣ اقدام والثاني لا يزال غير تام البنيان . وفي هذه الكنيسة صور نفيسة جداً اشهرها صورة « انزال المصلوب » وصورة « رفع الصليب » وصورة « الصعود » وهي من تصوير روبن

ويليها كنيسة سان جيمس وهي اجمل من كاتدرائية نوتردام في زينتها وزخرفها وفيها مدفن روبن المصور البلجيكي المشهور

وفي انفرس كنائس اخرى جميلة منها كنيسة سان بول وكنيسة سان اندرو وكنيسة سان اوغسطين

ودار بلدية انفرس من اجمل دور البلديات في العالم فقد جمعت في واجهتها ثلاثة نماذج من البناء الايطالي وقد رسم هذه الدار كرنيليوس فربنتي المهندس سنة ١٥٦٤ وطول واجهتها ٣٠٠ قدم وهي اربع طبقات مزدوجة الكوى غاية في الفخامة

وفي انفرس ايضاً متحف للصور فيهِ ٥٦٠ صورة من اشهر صور العالم من تصوير روبن وفانديك رتشيان وتنيير وجوردانس وكوبن وماستي . وفيها فوق ذلك كليات عديدة ومدارس للصناعة والفنون وحديقة للحيوانات واخرى للنباتات وتياترات ودور قديمة مشهورة

وقد هاجمها الالمان في اوائل الشهر الماضي وسدَّدوا اليها مدافعهم الكبيرة التي قطر قنابلها من ٢٨ سنتمتراً الى ٤٢ فدكت بعض حصونها واضرمت النار في كثير من مبانيها وفي احواض البترول التي فيها فخرجت الحامية منها وهجرها بعض سكانها ودخلها الالمان صباح العاشر من اكتوبر فلحقت هذه المدينة العظيمة بغيرها من مدن بلجكا الحصينة وثبت ان الحصون التي انشئت حتى الآن لا تقوى على القنابل الضخمة التي تطلق عليها بزخم شديد حتى نوخلا لها الجو لبلغ مداها عشرة اميال